

الحكم الفارسي لمصر خلال عهد الملك داريوس الاول (قراءة في سياسة التسامح والتفاعل الحضاري)

Persian rule over Egypt during the reign of King Darius I (A study of (the policy of tolerance and cultural interaction

بوصبيح عمر (*)

bousbia-omar@univ-eloued.dz (الجزائر)، جامعة الوادي

تاريخ الاستلام: 2026/04/ 04 تاريخ القبول: 2026/06/ 03 تاريخ النشر: 2026/06/ 08

تناول هذه الورقة البحثية تلك السياسة المرنة التي انتهجها ملك الفرس داريوس الأول (522-486 ق.م) تجاه المصريين، خاصة بعد أن تعكر صفو العلاقة بين المصريين والفرس في عهد الملك قمبيز (530-522 ق.م)، وقد سجل المؤرخون أنه من أهم العوامل التي أدت إلى نجاح الملك داريوس في طريقة تعامله مع سكان المملكة المصرية، هو التحضير الجيد قبل قدومه مصر، بل إنه تناول أهم الأمور التي تخص حياة المصريين بالدراسة والاطلاع الواسع، لذلك وبمجرد وصوله إلى هذا البلد ذو الحضارة العريقة، أظهر احتراماً لأهنتهم، مارس طقوسهم الدينية، وانتصب ملكاً عليهم وفق تقاليدهم الدينية والسياسية، كما تسمى بأسماء آهنتهم، فكان ذلك مدعاة لأن يحترمه ويهابه المصريون ويدخلوا في طاعته، لاسيما بعد أن أبدى لهم حسن نواياه تجاههم من خلال تلك المشاريع الاقتصادية والمعمارية التي حرص على تنفيذها في أرض مصر طوال مدة حكمه.

الملخص

داريوس - فارس - مصر - سياسة - تسامح

الكلمات الدالة

Abstract:

This research paper examines the flexible policy adopted by the Persian king Darius I (522-486 BC) towards the Egyptians, especially after relations between the Egyptians and the Persians soured during the reign of King Cambyses (530-522 BC). Historians have recorded that one of the most important factors that led to King Darius's success in dealing with the inhabitants of the Egyptian kingdom was the good preparation before his arrival in Egypt. He even studied and learned extensively about the most

* المؤلف المرسل.

important matters concerning the lives of the Egyptians. Therefore, as soon as he arrived in this country with an ancient civilization, he showed respect for their gods, practiced their religious rituals, and established himself as their king according to their religious and political traditions. He also took the names of their gods, which was a reason for the Egyptians to respect and fear him and submit to his authority, especially after he showed them his good intentions towards them through the economic and architectural projects that he was keen to implement in the land of Egypt throughout his reign.

Keywords: Darius – Persia – Egypt – policy – tolerance.

1 مقدمة:

تباينت سياسة الملوك الفرس تجاه الممالك التي تمكنوا من إلحاقها بإمبراطوريتهم منذ عهد الملك قورش، فإذا كان هذا الأخير قد وصف بالتسامح وحسن المعاملة مع شعوب تلك الممالك التي ضمها إلى إمبراطوريته، فإن ابنه قمبيز لم يتبع سياسة والده حيث عرف بقسوته وجبروته تجاه شعبه والشعوب التي دانت له بالولاء، ولعل أبرز تلك الشعوب هو الشعب المصري الذي ناله غضب هذا الملك بعد انكسار جيشه في صحراء مصر الغربية والجنوبية، لذلك كان الملك داريوس الذي حكم بعد قمبيز حريصا على حسن معاملة المصريين، مستلهما في هذا الصدد، الطريقة كان يعامل بها قورش رعاياه من شعوب العالم القديم.

تمكن داريوس من خلال سياسته المرنة مع المصريين من كسب ودهم والظفر بثقتهم وتقديرهم خاصة الطبقات العليا منهم كالكهنة والاعيان، قد تم له ذلك بحسب المصادر التاريخية من خلال اجراءات تعلقت بالجانب الديني والسياسي والاقتصادي والمعماري، ومن هنا جاز لنا أن نطرح التساؤل التالي: كيف كانت سياسة الملك داريوس تجاه المصريين؟ وكيف تمكن من كسب محبتهم والظفر باحترامهم وطاعتهم، الامر الذي مكّنه من بسط الامن بهذا البلد وتحقيق الاستقرار والتنمية به لمدة تجاوزت الربع قرن من الزمان؟

2- لمحة تاريخية حول ظروف اعتلاء داريوس الأول (Darius I) عرش بلاد فارس

2-1- الملك قورش مؤسس الامبراطورية الفارسية

منذ أن انتصر قورش (Cyrus) على الميديين وأسقط دولتهم، قامت مملكة الفرس بقيادة الاسرة الأخمينية سنة 550 ق.م¹، وقد احدث ذلك تغيرا واضحا على صعيد الخارطة الجيوسياسية في العالم القديم، وخلال فترة وجيزة توسعت دولة الفرس لتتحول إلى امبراطورية مترامية الاطراف تضم كل من كبادوكيا (Cappadoce)، أرمينيا، (Arménie)، ليديا (Lydie) وتلك المدن الاغريقية غرب آسيا الصغرى، ثم بابل والشام، ليعرف العالم القديم، نهاية القرن السادس ق.م، قوة شرقية جديدة وصلت حدودها إلى البحر المتوسط².

لعبت الشخصية القيادية للملك قورش دورا حاسما في سرعة التوسعات الفارسية على أرض الشرق الادنى القديم، فهذا الملك كان صاحب سياسة تتصف بالحكمة والقدرة الفائقة على التنظيم والادارة، والأهم من ذلك ما عرف عنه من عفو وتسامح مع اعدائه بعد الانتصار عليهم، وبرز مثال على ذلك طريقة تعامله مع كروسوس (Crésus) ملك ليديا، وكذلك مع سكان مملكة بابل³. واذا كانت تلك سياسة قورش، فإن سياسة خليفته لم تكن على نفس النهج ولا نفس الطريقة، فقد خلفه ابنه قمبيز الاول (Cambyse I^{er}) (522-530 ق.م)⁴، الذي لم يكن يشبه والده في تسيير شؤون المملكة ومعاملة الشعوب الخاضعة لحكمه، فقد عرف عنه قسوته وتعاليه وتسلطه على شعبه ورعاياه⁵.

2-2- الملك قمبيز وبداية التواجد الفارسي في مصر

كان قمبيز ملزما بالحفاظ على الامبراطورية التي ورثها عن والده، بل وكذلك العمل على ضم مناطق جديدة لتوسيع رقعة نفوذ الفرس على ممالك العالم القديم، فكان هدفه الاول هو مملكة مصر⁶، التي شرع والده في التحضير لغزوها لولا تمرد وقع في سكيثيا (Scythie)⁷، لذلك كان أول مشروع يحضر له قمبيز بعد اعتلائه العرش هو عزو مصر انتقاما من ملكها أمحس الثاني (Amassis II)⁸. ومن خلال مساعدة الفينيقيين الذين كانوا خاضعين لقمبيز، وكذلك القبارصة خاصة من خلال تأمين أسطول بحري منافس، استطاع الملك الانتصار على المصريين بقيادة ملكهم بسماتيك الثالث (Psammétique III)⁹.

ومن الحوادث المهمة للملك قمبيز في مصر والتي أثارت غضب المصريين منه، هو أنه بعد قيامه بحملة عسكرية نحو واحة سيوة أو واحة أمون، وكذلك نحو جنوب مصر باتجاه أثيوبيا، دون تحضير كاف ومعرفة جيدة بطبيعة تلك المناطق الصحراوية ذات المناخ الحار، فشلت حملته، وحين عاد إلى مصر، وجد المصريين يقيمون في ممفيس (Memphis) احتفالا بالإله أبيس (Apis)، والذي كان الإغريق يسمونه إيبافوس (Epaphus)، وكان هذا الإله مجسدا عندهم في حيوان الثور مقدس، والذي يسمونه اسم أبيس، وقد وضعوا عليه لباسا وزينة من أثنى الأنواع، وبما أن قمبيز قد اعتقد أن المصريين ما أقاموا هذه الاحتفالات إلا فرحا بانكساره في الجنوب¹⁰، فقد قام بقتل الكهنة المشرفين على الاحتفال، ثم قتل الثور أبيس حيث بقره بسيفه قائلا: " إذا كان إلها فليثبت لي ذلك ".¹¹

تحدث المصادر التاريخية عن قتل قمبيز لأخيه سمرديس (Smerdis)¹² حين لاحظ اعجاب الجند به وبشجاعته وحسن تعامله معهم¹³، وحين قرر العودة إلى بلاد فارس مات وهو في الطريق بسبب جرح أصابه في فخذه، ويبدو أن دعيا قد استغل غياب سمرديس، وعدم التأكد من مقتله، فانتحل شخصيته وحكم بلاد فارس باسمه لمدة تقارب السبعة أشهر، قبل أن يتفطن نبلاء الفرس لكذبه ويخلعوه. قرر النبلاء في فارس ممن أوكل لهم اختيار حاكم جديد، تعيين داريوس بن هيستاسب (Darius fils de Histaspes) لحكم امبراطورية فارس¹⁴، ولاشك أن داريوس استطاع اقناعهم بجرأته وشجاعته وفطنته، وكذا حسن تدبيره في حادثة التخلص من الدعي أوروباست (Oropaste)¹⁵.

2-3- حكم الملك داريوس الأول ومواجهة الثورات في الامبراطورية الفارسية

يقول هيرودوت أنه حين أعلن داريوس ملكا كان جميع شعوب آسيا الصغرى، والذين تم اخضاعهم من طرف قورش ثم قمبيز، خاضعين له ماعدا العرب فهؤلاء لم يكونوا قط عبيدا أو رعايا للفرس، ولكن حلفاء لهم، وقد تعاونوا مع قمبيز للوصول إلى مصر، ولو أنهم رفضوا عبور جيش الفرس عبر أراضيهم لما استطاع هؤلاء الوصول إلى مصر ودخولها¹⁶.

قضى داريوس حوالي ست (6) سنوات في اخماد الثورات والتمردات التي واجهته في بداية حكمه، ولعل بعضها يعود لعهد سمرديس، والحقيقة أن تلك الثورات لم تكن مجرد نزعات انفصالية، بل كانت وراءها روح وطنية يتطلع اصحابها إلى حكم بلادهم واستعادة سيادتهم من خلال حكم سادتهم المحليين الذين لطالما كانوا يذكروهم باستقلالهم وحريتهم، والظاهر أن أغلب الاجزاء التابعة للإمبراطورية انتفضت حتى الاقرب إلى بلاد فارس مثل السوس وبابل¹⁷.

عمل داريوس على تنظيم الادارة في مختلف المقاطعات، وفرض على كل مقاطعة قيمة محدودة من الضرائب تدفعها سنويا، ولم تعف منها سوى بلاد فارس، كان في كل ولاية أو سترابية حامية من جيش الفرس تضمن الهيمنة والولاء للملك، وبالقرب منها مقرات للإدارة المحلية بها موظفون سامون لجمع الضرائب، بل كانت الحكومة المحلية تأخذها بشكل اعتباطي¹⁸.

3- أوضاع مصر عشية قدوم داريوس الأول إليها

3-1- اجراءات داريوس الاستباقية قبل وصوله إلى مصر

بعد أن تمكن الملك داريوس من السيطرة على الأمور في أرجاء إمبراطوريته، توجه في شتاء 519-518 ق.م، إلى الغرب على رأس جيش كبير، فوصل ممفيس دون أن تصادفه أية مقاومة¹⁹، وهذا لا يعني أن مصر لم تكن جزءاً من الاقاليم التي ظهرت بها الفتن والثورات ضد الحكم الفارسي، غير أن داريوس قد استبق قدومه إلى مصر بإجراءات مهدت له الطريق لدخولها دون استعمال الاساليب العنيفة، أما عن الخراط مصر في جو الثورات فمرد ذلك إلى أنه عندما غادر قمبيز مصر سنة 522 ق.م، توجه صوب الشام قاصداً إيران، وقد ولى على مصر حاكماً فارسياً يدعى أريانديس (Aryandès)، وكان هذا الأخير يوصف بالقسوة والظلم والاستبداد، مما دفع المصريين إلى النفور منه ومن حكم الفرس لهم، هذا اضافة إلى نفورهم أصلاً من الملك الذي عينه وهو قمبيز الذي أساء لهم إساءة بالغة بحسب زعمهم²⁰.

حين وصلت اخبار تلك الفتنة إلى مسامع داريوس زمن انشغاله بإعادة الامن لإيران، عزم على معالجة أمر مصر بسياسة اللين والود بدل العنف الذي كان سببا في نفور المصريين

من قمبيز وأرياندس²¹. ويبدو أن داريوس الذي كان ذو شخصية حربية وإدارية وتشريعية فذة، قد أدرك مبكراً أن أمر مصر لن يستقر إلا في ظل قوانينها الخاصة، لذلك ألغى بعضاً من إجراءات سلفه وسمح بالعودة إلى ما كانت عليه الأمور في ظل التشريع الصاوي²²، كما أمر بجمع القوانين المصرية في عهد الملك أحسن الثاني²³.

أما عن تلك الإجراءات التي سبقت قدوم الملك، فكان أولها أن أمر أرياندس بأن يجمع ذوي العلم والعارفين بالقوانين المصرية ويطلب منهم بأمر من الملك أن يجمعوا قوانين مصر القديمة التي كانت سائدة فيها حتى العام الرابع والاربعين (44) من حكم أحسن الثاني (AMASIS II)، وقد تحققت رغبة داريوس في مدة تقارب الستة عشر (16) عاماً، لذلك شعر المصريون بالغبطة لهذا العمل واعتبروا داريوس واحداً من منقذي قوانينهم، خاصة حين أمر بترجمة القوانين المصرية إلى عدة لغات، كما قام بنشر تلك القوانين بعد ترجمتها إلى الأرامية، في جميع ربوع المملكة الإيرانية²⁴.

3-2- تشريعات داريوس وأثرها في حكمه لمصر

وإذا ما تطرقنا إلى سياسة داريوس بمعزل عن أحداث مصر لوجدنا أن هذا الملك كان مركزاً جل اهتمامه، في ما يخص نظام الإدارة، على العدل، لذلك نجد قوانينه ظلت سارية المفعول في إيران زمناً من بعد زوال الامبراطورية²⁵.

وتتحدث المصادر التاريخية عن تنفيذ أرياندس أوامر الملك داريوس حيث جمع رجال القانون للعمل قبل قدوم داريوس إلى مصر، وهو ما يثبت أن الملك كان يرغب في استمالة المصريين إلى صفه قبل وصوله إلى هذا البلد، ويبين للمصريين كذلك بأنه حريص على أن تحكم مصر وفق قوانينها وتشريعاتها، التي كان سارياً العمل بها قبل مقدم الفرس إليهم²⁶، وإذا كان داريوس قد كرر هذه الإجراءات التشريعية في مقاطعات أخرى، فإن ذلك يدل على أن هذا الملك كانت له سياسة تشريعية تمكن من خلالها من كسب تعاطف وتعاون تلك الشعوب التي كانت في الواقع ضمن نفوذ الامبراطورية الفارسية²⁷، لذلك اعتبره ديودور الصقلي (Diodore de Sicile) من أحسن المشرعين في عصره²⁸.

ويروي لنا هيروودوت متحدثا عن صرامة وحزم داريوس في ميدان القضاء، أن القضاة الذين كانوا يختارون يظلون في مناصبهم مدى الحياة ما لم يخلعوا بسبب زيغهم في تطبيق العدالة²⁹، ولكن شرائع الاقوام التابعة للإمبراطورية ظل العمل بها ساريا، وكان الملك في امبراطورية الفرس يعتبر مصدر القوانين والشرائع وارادته هي القانون، أما الافكار والارادات التي يصدرها الملك فهي تعتبر موحاة من الاله أهورا مازدا (Ahura Mazda) نفسه³⁰.

ويجمع الباحثون الذين عكفوا على دراسة تشريعات داريوس على أنها تشبه إلى حد كبير شريعة حمورابي، فداريوس يقول: "تحت رعاية أهورا مازدا (الاله الفارسي) أنني أحب الحق وأكره ما ليس بحق، فلن يحدث أن يسيئ عبد لأي مواطن، وكذلك لن يسيئ مواطن لعبد، إنني أحب الحق وأكره كل من يقر الكذب، انني لا أغضب وأكظم غيظي، وإنني لا أثق في كل من يتحدث ضد العدالة..."³¹.

3-3- داريوس يحكم مصر وفقا للتقاليد المحلية

وقد افادت المصادر التاريخية بأن داريوس قضى ثلاث سنوات في التعرف على عادات المصريين وعقائدهم ومجالات تفكيرهم، وكان مصدر معلوماته في هذا الشأن مستشاره وطبيبه المصري أوجا حورس³² (Hdja Horresne)، وحين دخل داريوس منف أو ممفيس سنة 518 ق.م، التقى بكبرائها وساداتها مظهرها لهم احتراما وتقديرا لمكانتهم ولعادات وتقاليد المصريين، مطمئنا بذلك قلوبهم وقلوب المصريين من خلالهم، ولكي يثبت لهم حسن نواياه وسماحة سياسته تجاههم قام بإجراءات يمكن وصفها بالشجاعة والجريئة وكان أولها:

أ- التخلص من أريانندس الذي ألقى عليه القبض ثم أمر بقتله، فهو بذلك يخلص المصريين من رمز من رموز الظلم والفتنة في نظر المصريين.

ب- ومن أجل ان يعترف المصريون بداريوس حاكما عليهم، أعاد تنصيب نفسه ملكا في مصر متبعا في ذلك التقاليد المصرية حيث ارتدى ملابس الفراعنة، وقرأت عليه الطقوس الفرعونية، ووضع على رأسه التاج كما هو معمول به في مراسيم تتويج الملوك

بمصر، وفي سبيل ذلك قبل داريوس أن تطلق عليه اللقب الفرعونية، وعليه فهو ابن نيت إلهة سايس (الحجر) وأم الآلهة، وهو أخو رع إله الشمس³³.
إن الحديث عن الكهنة من خلال الطقوس الفرعونية في مصر لا يقتصر فقط على الجانب الديني، بل إن حضورهم في تلك الفترة ودورهم كان سياسيا بامتياز، وهو الامر الذي تنبه إليه داريوس حيث ادرك من خلال التعرف على تقاليد المصريين مدى القوة التي يتمتع بها الكهنة، ومدى تأثيرهم الروحي على عامة الشعب المصري، لذلك نجده يحرص على كسبهم لصفه محاولا بذلك الوصول من خلالها إلى قلوب المصريين، والظفر بحبهم وتعاطفهم، ومن ابرز القوانين التي صدرت عن داريوس في سبيل تحقيق هذا الهدف، ذلك القانون الذي يعيد للكهنة حق التصرف في إيرادات المعابد المصرية بعد أن صادر الملك قممير بعضا منها، أما بالنسبة للكهنة فقد حرصوا على الحفاظ على فكرة أن مصر مملكة مستقلة، لذلك أطلقوا على الملك داريوس لقب الفرعون معتبرين ملوك فارس في تلك الفترة أسرة حاكمة مصرية، وهي الاسرة السابعة والعشرين (27)³⁴.

وفي هذا الاطار نجد النقوش الملكية وفي ظل الدعاء للآلهة وتخليدا للملوك الفرس تعيد ذكر هذا التعيين الالهي بعبارة: "أورموزد هو الاله الاكبر الذي خلق السماء في العلي، واوجد الارض، الذي أبدع الانسان، واستنبت له الغبطة، الذي جعل من داريوس ملكا، ووهب لداريوس هذه المملكة العظيمة الغنية بالخيول والسكان."، وقد وجد هذا النص منقوشا على أربعة وعشرين نصبا في مصر، على الوجه الآخر للنصب وجد النص الهيروغليفي المقابل الذي يعزو انتصارات الملك إلى عطف إلهة سايس والدته³⁵.

4- مظاهر سياسة التسامح للملك داريوس تجاه المصريين

4-1- بناء وترميم المعابد وسياسة التسامح الديني

تصادف قدوم داريوس إلى مصر مع اقامة المصريين الطقوس الجنائزية لعجلهم أبيس، إذ وجدهم يضعون أثواب الحداد عليه فقام الملك بمشاركتهم مراسيم العزاء³⁶، كما أمر بدفن

العجل في المقبرة الإلهية بسيرايوم، كما اعتمد الملك مكافأة معتبرة لمن يكتشف عجلا تتوفر فيه مواصفات عجل أبيس بحسب ما تنص عليه ديانة الفراعنة³⁷.

قام الملك داريوس بإصلاح ما تخدم من المعابد والمنشآت³⁸، وأمر بتشييد معبد في الخارجة³⁹، وهو معبد للإله آمون، وكانت هذه الواحة أي الخارجة قد غدت في تلك الفترة مركزا رئيسيا لتجارة الصحراء غرب مصر، وذلك بعد أن ادخل لها الفرس خدمة الجمال، وطوروا فيها وسائل الري على الطريقة التي كان معمولاً بها في الهضبة الإيرانية، وبما أن معبد الإله آمون كان موجودا بها، فقد أقامه داريوس من الحجر الرملي على غرار معابد المصريين القدماء، وقد زينت جدران حوائطه بنقوش ورسوم فرعونية، ظهر بها الملك داريوس وهو يقدم القرابين للآلهة المصرية، وثالوث المنطقة وعلى رأسه آمون وبقيّة أفراد الثالوث **موت** و**خونس**⁴⁰. وقد ذكرت الروايات التاريخية اسم أحد المهندسين المصريين وهو **خنوم إيت رع** والذي أشرف على ترميم معابد مختلف الآلهة المصرية : مين، حورس، إيزيس، بناحية فقط، وأمون موت، خونس بناحية طيبة⁴¹.

وقد اتخذ الملك لنفسه في هذا المعبد ألقابا مصرية بحتة، أما المعابد التي رُمّمها وأصلح بناءها فكانت فقط في طيبة، سايس، وادفو وبوصير⁴²، وكانت تلك المعابد قد خربت في زمن سلفه الملك قمبيز، وقد قام داريوس بزيارة المعابد المصرية مظهرا احتراما كاملا لها ولما فيها من تماثيل، وقد أصدر أوامره للولاة الفرس بمراعاة شعور المصريين وتقديم القرابين للآلهة المصرية، وكان لذلك التسامح الذي أبداه داريوس أثره البالغ بين الفرس الوافدين إلى مصر، فاعتنق عدد منهم الديانة المصرية وتسموا بأسماء مصرية، وليس هذا مدعاة للاستغراب، إذا أن الملك قد لقب نفسه فرعون واعتبره المصريون ابن الإلهة **نيت** وأخ للإله **رع**، وقد أقر هو ذلك بنفسه، لذلك لا غرابة في أن يتشبهه الفرس بملكهم⁴³.

4-2- داريوس يهتم بالزراعة والطب وشق القنوات البحرية في مصر

اهتم داريوس بالنشاط الزراعي في مصر، خاصة ما تعلق منه بنشاط الري في المناطق الصحراوية التي يشح فيه الماء ويصعب الحفاظ عليه، فادخل إلى مصر نظام الري الذي يعتمد

على قنوات مبنية تحت الارض لكي لا تتعرض مياهها للتبخّر، اضافة إلى انها قنوات مبنية بطريقة لا تسمح بتسرب المياه خارجها وكما سبق ذكره، فقد اقام داريوس هذا النظام في واحة الخارجة، وعليه فقد استفاد المصريون من طريقة جديدة في الري لم يكونوا يعرفونها من قبل⁴⁴.

في مجال الطب كان لدى الفرس أطباء من الكهنة ممن يستعملون السحر والرقى في علاجاتهم، كما كان لهم أطباء يستعملون النباتات كأدوية، أما ملوك الفرس فقد استخدموا أطباء من بلاد اليونان ومصر وبابل، وقد ورد في نصوص القوانين الفارسية حديث عن أجور المعالجة⁴⁵، وفي هذا الصدد اعاد داريوس خلال تواجده بمصر تعمير المدرسة الطبية في سايس وزودها بكل ما تحتاجه من امكانيات، كما استحدثت بها مكتبة بها عدد معتبر من الكتب، حتى تضطلع هذه المؤسسة بالدور المنوط بها على أتم وجه، وقد وصلتنا أخبار هذه المدرسة من قاعدة لتمثال مصري يسمى أوز أهريس نقي⁴⁶.

حاول داريوس دفع الاوضاع الاقتصادية في مصر، فأمر بإعادة شق قناة نيكاو المؤدية إلى البحر الاحمر، وقد نقش عدة نصب أشادت بهذا العمل بمختلف اللغات الهيروغليفية والمسمارية، وكان الدافع وراء ذلك تسهيل وصول السفن المصرية عن طريق البحر الاحمر إلى بلاد فارس والمحيط الهندي ثم مياه الخليج، وقد اعتبر شق هذه القناة مرحلة من مراحل تنشيط التجارة البحرية المتبادلة مع الهند⁴⁷. ويحدثنا هيروdot عن هذه القناة فيقول أن أول من حفرها هو الملك نيكاو (Nécos) بن بسماتيك، وهي تؤدي إلى البحر الاريتيري، وأن داريوس أكمل هذا المشروع، ويضيف هيروdot أن المدة التي المسافر لعبور هذه القناة تقدر بأربعة أيام من الابحار، وهي تتسع لإبحار سفينتين من ناحية العرض من النوع ثلاثية طوابق المجاديف (Trirèmes)⁴⁸.

أشار هيروdot إلى أن الفرس كانوا مهتمين بالحفاظ على المماريس في الموانئ والقنوات في مصر، وكان ذلك بشكل خاص من أجل محاربة أخطار غرق العاصمة ممفيس، وبعد أن قاموا بربط ميناء المدينة بقناة مع النيل بشكل مباشر، اصبح ميناء المدينة فعالا بشكل أكبر، لم تكن به فقط معامل الاسلحة وصناعة السفن، ولكن ميناء تجاري به سلع من كاريّا

(Carie)، أيونيا (Ionie)، وفينيقيا (Phénicie)، ونعلم أيضا أنه كانت هنالك مبادرة داريوس باستحداث قناة تربط النيل بالبحر الأحمر، إلا أن أهداف الملك ظلت في هذا الإطار غير واضحة، لأنه يظهر لنا الآن وبشكل معاكس لذلك التصريح المتعالي المسجل في إحدى النصب الخاصة بالقناة، فإنه لم يكن هنالك أي خط بحري تجاري مباشر بين البحر الأحمر والخليج الفارسي على طول فترة حكم الأسرة الأخمينية، ومن بين النصب التي وثقت هذه المعلومات، تلك التي اكتشفت بتل المسخوطة (Tell el Maskhuta) ⁴⁹.

3-4- تنظيم الحياة العامة، تشييد القلاع والقصور، وموقف المصريين من سياسة داريوس
وفي سبيل تنظيم وتوحيد نظام القياس الخاص بالموازين والمكاييل في أرجاء الامبراطورية الفارسية، وحد داريوس هذا النظام فاستحدثت الذراع الملكي، وهو عبارة عن قطعة من الحجر الجيري طولها 18 بوصة وعليها اسم داريوس، كما أدخل داريوس وحدة موازين أخرى تسمى كاراشا Karasha وقد عثر في اطلال برسيوبوليس (Persepolis) وكرمان وغيرها عن صنع على هيئة هرميات، والجدير بالذكر هو وجود موازين على هذه الهيئة في مخلفات مصر الفرعونية ⁵⁰.

عمل الملك داريوس على اصلاح الطرق البرية في مصر فقام بتعبيدها بعد التلف الذي اصابها أيام الفتن والاضطرابات، ولعل أهم انجاز ينسب له في هذا الصدد، هو تلك الطريق البرية التي شقها بين إيران ومصر، وهو الطريق الذي كان يربط بين منف العاصمة المصرية وبين مدينة كوروش الواقعة على نهر سيحون، تلك الطريق التي تواصل امتدادها حتى تصل الصين، كما أمر الملك بتزويد هذه الطريق بمحطات للمسافرين وكذلك بحراسة من خلال الحصون والقلاع التي أقيمت على طول هذه الطريق لحماية المسافرين من قطاع الطرق واللصوص ⁵¹.

خلال فترة حكمه أنجز داريوس مشاريع بناء ضخمة في جميع أنحاء الامبراطورية، ففي العاصمة سوسة أمر ببناء مجمع قصور فخم في الجزء الشمالي من المدينة، والذي أصبح مقر اقامته المفضل، أعقب ذلك مشروع آخر في برسيوبوليس ضم كذلك مجمع لقصور وثكنات

عسكرية، وخزانة ومقر إقامة الملك ودارا للضيافة، وفي مصر، فبالإضافة إلى المعابد التي أقامها هنالك⁵²، شيد العديد من القلاع مثل:

- قلعة منف العاصمة حيث مقر الحاكم الفارسي، ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز الواقع على مسافة قريبة من بداية تفرع الدلتا.
- قلعة بلوزيوم عند مصب نهر النيل في الجهة الشرقية للدلتا.
- قلعة ماريا الواقعة في الشمال الغربي من مصر (بالقرب من الاسكندرية الحالية)
- قلعة ألفنتين (أسوان الحالية) والمكلفة بحماية مصر من الناحية الجنوبية⁵³.

يمكن القول أن الملوك الأخمينيين عموما، و الملك داريوس بشكل خاص أوجدوا مناهج جديدة في نطاق الادارة القطرية والمحلية، فاحترموا الجماعات البشرية والتقسيمات الجغرافية التقليدية، كالقبائل والممتلكات العقارية الشاسعة العائدة إلى الخواص، وكذا المدن والمحافظات ولكنهم مع ذلك قسموا إمبراطوريتهم إلى عدد من المقاطعات يتراوح بين العشرين والثلاثين أطلقوا عليها تسمية المرزبانان كان على رأس كل منها نبيل إيراني يمثل الملك، ولكنه يمثل في الوقت نفسه الشعب الفاتح أو بالأحرى الطبقة الارستقراطية الحربية التي تربطها علاقة وطيدة بالملك توصف بالوفاء الشخصي⁵⁴.

ورغم تلك الانجازات التي تنسب إلى الاسرة الفارسية الحاكمة نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م، في جميع أنحاء الامبراطورية عموما وفي مصر بشكل خاص، إلا أن المؤرخين المحليين وخاصة المصريين منهم ظلوا يصفون ذلك التواجد الفارسي بالغزو الخارجي، الذي خدر المصريين واجتذب نفرا منهم إلى طاعة الملك⁵⁵، والبعض الآخر وصف المشهد بأن المصريين لم ينخدعوا بحسن معاملة المستعمر لهم مستدلين بتلك الثورة التي اندلعت في مصر أثناء انشغال الملك داريوس بحرب الاغريق سنة 490 ق.م⁵⁶.

لكن باحثين مصريين آخرين كان رأيهم مختلفا حيث عبروا عن موقف المصريين من حكم داريوس بأنه أمام ذلك الشعور الذي أظهره الملك داريوس نحو مصر والمصريين، وما أقدم عليه من اصلاحات عديدة، نسي المصريون ثورتهم ضد الفرس والتفوا حول الملك يؤازرونه حتى

السنوات الاخيرة من حكمه عندما تجددت الاضطرابات من جديد، أي أن الهدوء ظل يسيطر على الاوضاع في مصر من حوالي سنة 517 ق.م العام الذي قدم فيه داريوس إلى مصر إلى سنة 486 ق.م، ونتيجة لتلك الاصلاحات العديدة اعتبر المصريون داريوس واحدا من ملوكهم، بل قيل أن البعض أطلق عليه لقب المصلح العظيم.⁵⁷

5- الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية يمكننا القول بأن سياسة التسامح التي اتبعتها داريوس في مصر كانت على سياسة خلاف سلفه قمبيز، حيث مكنته من كسب احترام وثقة الكهنة والاعيان المصريين منذ أن وطأ ارض تلك المملكة التي تحولت إلى مقاطعة في التنظيم الاداري الفارسي رغم محاولة المصريين اقناع انفسهم بأنها مملكة مستقلة، وقد تم هذا الامر للملك داريوس بفضل احترام ديانة المصريين وآلهتهم، وكذا عاداتهم وتقاليدهم، بل إنه قبل أن يُنصَّب كملك على مصر وفق الطقوس الدينية والتقاليد السياسية المصرية، وأن يلقب بألقاب ملوك مصر ويتسمى بأسماء آلهتهم.

كما أن حرص الملك على احداث اضافات لصالح المصريين في المجال الاقتصادي كنقل بعض التقنيات المستخدمة في أرض إيران إلى مصر والتي من بينها قنوات الري المغطاة، واستخدام الجمال في الواحات الصحراوية، وكذا شق قنوات تربط بين نهر النيل والبحر الاحمر تصلح للملاحة، كما اخبر بذلك المؤرخ هيرودوت، كل ذلك مَنَّ حبل الثقة بينه وبين شعب مصر ليتحول الامر إلى تمازج وتلاقح ثقافي بين حضارة فارس الصاعدة وحضارة مصر العريقة، وفي هذا الصدد لا بد من التنويه إلى استقرار الاوضاع في مصر خلال فترة حكم الملك داريوس دون اللجوء إلى سياسة عنيفة مع سكان مصر، وذلك نتيجة لنهجه في الحكم الموسوم بالتسامح والتعاون والتبادل الثقافي، ومع ذلك يبقى من الصعب تقبل الامر بالنسبة للمصريين، فتحكم الاجنبي في مقدرات البلاد المصرية لم يكن ليستمر مهما طال الزمن، وتبقى الروح الوطنية لدى هذا الشعب وجميع الشعوب الحرة تتحين الفرص للحصول على استقلالها والتخلص من الهيمنة الاجنبية مهما كان نوعها.

الهوامش

¹ A.D. Delattre, S.J. Le Peuple et l'Empire des Mèdes jusqu'à la fin de du règne de Cyaxare, F. Hayez Imprimeur de l'Académie Belgique, Bruxelles, 1883, p196.

² - سيد أحمد علي الناصري، الاغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت إلى قيام امبراطورية الاسكندر الاكبر، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1976، ص 08.

³ - طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : حضارة وادي النيل وبعض الحضارات القديمة فارس، الاغريق، الرومان... ج 2، شركة الوراق للنشر، ط 1، بغداد، 2011، ص 450.

⁴ - نفسه، ص 451.

⁵ - T.D.Raffenet, Résumé de l'Histoire de la Perse depuis l'origine de l'Empire des Perses jusqu'à ce jour, Le cointe et Durey Libraire, Paris, 1825, p 25.

⁶ - Pierre Briant, Histoire de l'Empire Perse de Cyrus à Alexandre, Librairie Arthème Fayard, Paris, 1996, 85.

⁷ - صبحي عطية يونس، جيش قمبيز المفقود، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد الحادي والاربعين، ج2، أغسطس 2007، ص 450.

⁸ - T.D.Raffenet, Loc.cit.

⁹ - Pierre Briant, Op.cit, pp 85-86.

¹⁰ - Hérodote, Histoire d'Hérodote, III, 27-28.

¹¹ - T.D.Raffenet, Op.cit, p 29.

¹² - Pierre Briant, Op.cit, p 92.

¹³ - T.D.Raffenet, Loc.cit.

¹⁴ - Hérodote, III, 61-71.

¹⁵ - طه باقر، المرجع السابق، ص 452.

¹⁶ - Hérodote, III, 88.

¹⁷ - François Lenormant, Manuel de l'Histoire Ancienne de l'Orient jusqu' aux Guerres Médiques , T2, Assyriens, Babyloniens, Mèdes et Perses, A. Levy Fils Libraire-Editeur, Paris, 1869, p 346.

¹⁸ - Ibid, pp 442-443.

¹⁹ - عبد الحميد زايد، الشرق الخالد -مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الادنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 621.

²⁰ - بديع محمد جمعة، مدخل إلى حضارة إيران قبل الاسلام (د.د.ن)، (د.ب.ن)، (د.س.ن)، ص 93.

²¹ - نفسه، ص 94.

²² - عبد العزيز صالح، الشرق الادنى القديم، ج 1، مصر والعراق، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص 450.

²³ - سمير أديب، تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الاسكندرية، الاسكندرية، 1997، ص 250.

²⁴ - بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص 94.

²⁵ - طه باقر، المرجع السابق، ص 477.

²⁶ - بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص 95.

²⁷ - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 450.

²⁸ - سمير أديب، المرجع السابق، ص 250.

²⁹ - طه باقر، المرجع السابق، ص ص 476-477.

³⁰ - Hérodote, III, 31.

³¹ - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 622.

³² - كان أوجا حورس قائدا للأسطول المصري في عهد الملك بسماتيك الثالث، ولكنه كان شديد الميل إلى الفرس وعاملا مساعدا في دخولهم مصر، فهو بذلك حظي بمكانة متميزة لدى الفرس وبألقاب عدة منها رئيس الاطباء، بعد وفاة قمبيز سافر إلى عيلام إلا أن داريوس أرسله إلى مصر مرة أخرى . للمزيد أنظر بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص 95.

³³ - بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص ص 96-97.

- 34 - نفسه، ص 97.
- 35 - أندريه إيمار وجيانين أوبويه، تاريخ الحضارات العام: الشرق واليونان القديمة، ج 1، ترجمة فريد.م. داغر و فؤاد.ج. أبو ربحان، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط 2، 1986، ص 219.
- 36 - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 621-622.
- 37 - بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص ص 97-98.
- 38 - سمير أديب، المرجع السابق، ص 250.
- 39 - جان فيركوتير، مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 1993، ص 158.
- 40 - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 624.
- 41 - نفسه.
- 42 - أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم: تاريخ العراق - إيران - آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2000، ص 443.
- 43 - بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص 98.
- 44 - نفسه.
- 45 - نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، دار الفكر، ص 92.
- 46 - بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص 99.
- 47 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 451.
- 48 - Hérodote, II, 158.
- 49 - Pierre Briant, Op.cit, p 590.
- 50 - عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 628.
- 51 - بديع محمد جمعة، المرجع السابق، ص ص 99-100.
- 52 - Radu Cristian, Darius I, Traduit par Bebeth Etienne-Cartwright, Word History Encyclopedia (en français), article publié le 01/06/2023, <https://www.worldhistory.org/trans/fr/1-357/darius-ier/> vu le 22/03/2026 à 17 : 11.

- 53 - بديع مُجَدَّ جمعة، المرجع السابق، ص ص 100-101.
- 54 - أندريه إيمار وجيانين أوبويه، المرجع السابق، ص 221.
- 55 - عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 483.
- 56 - سمير أديب، المرجع السابق، ص 251.
- 57 - بديع مُجَدَّ جمعة، المرجع السابق، ص 102.